

المحاضرة الثامنة

من الخطبة رقم ١٩٣

ومن خطبة له عليه السلام يصف فيها المتقين

رُويَ أَنَّ صَاحِبًا لِأَقْبِسِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) يُتَالَلَهُ كَهَمَامٍ كَانَ رَجُلًا
عَابِدًا فَقَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هِيَ لَيْبُ الْمُتَتِينَ حَتَّى كَأَنَّ
أَنْفُسَ إِيْمِهِمْ فَتَنَاقَلَ كُنْ جَوَابِهِ ثُمَّ قَالَ (عليه السلام) يَا هَمَامُ اتَّقِ
اللَّهَ وَأَحْسِنْ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ
فَلَمْ يَقْنَعْ هَمَامٌ بِهَذَا الْعَوْلِ حَتَّى عَزَمَ عَلَيْهِ قَالَ: فَصَمَدَ اللَّهُ
وَأَتْنَتْ عَلَيْهِ ذَهَبَ عَلَى النَّبِيِّ (صلوات الله عليه وآله) ثُمَّ قَالَ

(عليه السلام) 8

أَمَّا يَهْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الْخَلْقَ حَيْثُ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنْ
طَاعَتِهِمْ أَمَّا مِنْ مَعْجَبِيهِمْ لِأَنَّهُ لَا يَضُرُّهُ مَعْجَبُهُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَا يَنْفَعُهُ
طَاعَةٌ مِنْ أَطَاعِهِ فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَارِسَهُمْ حُدُودَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَرِضَهُمْ
فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ مِنْطِقُهُمْ الصَّوَابُ وَمَلْبَسُهُمْ الْإِقْتِصَادُ
وَمَشِيَّتُهُمْ السَّوَابُ غَضُّوا أَنْبَادَهُمْ كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَوَقَعُوا
أَسْمَاءَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبُلَادِ كَالزَّيْتِ
نَزَلَتْ فِي الرَّجُلِ كَوَلَا الْأَجُلِ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ لَمْ تَسْتَبِرْ أَرْوَاحَهُمْ
فِي أَجْسَادِهِمْ كَهَرَفَةِ عَيْنٍ سَوَقًا إِلَى الْحَوْتِ وَخَوْفًا مِنَ الْعَقَابِ .

معاني المفردات:

- ١- تتأقل: تباطىء وتراخى
- ٢- عزم عليه: عَزَمَ على الرجل: أقسم عليه، أصر عليه
- ٣- المعايش: مفردة المعاش، ما تعيش به من المطعم والمشرب، ما تكون به الحياة
- ٤- الصواب: ضد الخطأ، الحق
- ٥- الإقتصاد: الاعتدال والوسط فلا الغالي ولا المبتذل
- ٦- غضوا أبصارهم: خفضوها وغمضوها
- ٧- البلاء: الاختبار، الغم
- ٨- الرخاء: سعة العيش وهنائه
- ٩- الأجل: وقت الموت، غاية الوقت

شرح النص

همام من أصحاب الإمام علي (عليه السلام) رجل تقي مؤمن مات بعد سماع هذه الخطبة وقيل أنه بسبب عدم وجود صفة واحدة من صفات المتقين فيه صعق ومات واختلف الشراح ولم يتوصلوا إلى هذه الصفة .

(تَنَاقَلَ عَنْ جَوَابِهِ) أي تباطىء و قيل لأن الإمام عليه السلام يعلم بما سيحدث لهمام لأن التفصيل موجب لهلاكه.

(اتَّقِ اللَّهَ وَأَحْسِنُ) التقوى هي الخوف من الله عز وجل وقيل أنها: أن لا يفقدك الله حيث أمرك ولا يراك حيث نهاك، وهي أكثر الكلمات استعمالاً في نهج البلاغة.

والإحسان فوق التقوى وهو: عمل الإنسان في الرغائب والمندوبات اي المستحبات.

(عَزَمَ عَلَيْهِ) لم يقنع همام بما قاله الإمام علي (عليه السلام) فأصر عليه أن يجيبه إجابة مفصلة فقال عليه السلام :

(خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ، لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ عَصَاهُ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ أَطَاعَةٍ) الله سبحانه غير محتاج لطاعة خلقه ولا خائفاً منهم عند عصيانه فلا تضره المعصية لأن المعصية تضر ذات العاصي - اي نفسه هو- وكذلك الطاعة تنفع نفس المطيع فهو المنتفع وليس الله تعالى.

(فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ) المعاييش هي الأرزاق التي يعيشون فيها.

(وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ) جعل لكل واحد من الناس الموضع اللائق به، حيث أن بمثل هذه المواضع تدار أمور الكون.

(عن الإمام الصادق عليه السلام قال: **إِنَّ مِنْ شِيعَتِنَا مَنْ يَصْلِحُهُ الْفَقْرُ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِنَا مَنْ يَصْلِحُهُ الْغِنَى**)

صفات المتقين :

١- **(مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ)** أي في كلامهم صواب وهو التسديد في الكلام لا هذار ولا محرم ولا يخطأ ولا يعتذر، قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا)

٢- **(وَمَلْبَسُهُمُ الْإِقْتِصَادُ)** الاقتصاد هو التوسط في المعيشة (لا غالياً مبالغاً فيه ولا مبتذلاً)

٣- **(وَمَشِيَّتُهُمُ التَّوَاضُّعُ)** أي الاعتدال في المشي لا مشية المتبخترين ولا مشية الاذلاء المهينين و ذكر أحد الشراح لنهج البلاغة لعله المراد بالمشي هنا هو السلوك فالإنسان المتواضع قلبه يتواضع في كل سلوكه، قال تعالى: (وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ)

وَأَجْعَلْ فُؤَادَكَ لِلتَّوَاضُّعِ مَنزَلاً إِنَّ التَّوَاضُّعَ لِلشَّرِيفِ جَمِيلٌ

٤- **(غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ)** المراد هنا غض البصر عن الأجنبية والمحرمات الذي يكون بإرادة وتعاطي وليس غض البصر عن كل شيء مطلقاً.

٥- **(وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَنِ الْعِلْمِ النَّافِعِ)** فلا يضيعون اسماعهم في سماع اللغو والمحرمات وإنما يستعملونها في العلم والحكمة.

٦- **(نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي نَزَلَتْ فِي الرِّخَاءِ)** أي أن نفوسهم طابت في البلاء والرخاء في حدٍ سواء فلا يجزعون في البلاء حيث هم في الحاليتين رزينين مطمئنين راضين.

ورد في نهج البلاغة أن أمير المؤمنين ع قال: **يُنزَلُ الصَّبْرُ عَلَى قَدْرِ الْمُصِيبَةِ، وَمَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَى فَخْذِهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ حَبِطَ أَجْرُهُ.**

٧- **(وَلَوْ لَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةً عَيْنٍ شَوْقًا إِلَى الْمَوْتِ وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ)** الأجل هو الموت أي المدة المقدره من الله تعالى والذي كتبه عليهم فلولا الموت لم تستقر أرواحهم أبداً بمقدار حركة العين أي بمقدار أن يحرك الإنسان عينه متشوقين إلى الثواب والجنة وخوفاً من النار والعقاب، يقول أحد الشارحين لنهج البلاغة: فإن كثرة الرغبة والرغبة توجيان خلو القلب من الذنب.